

٥

ثلاثة ابناء

بقلم

جمال شاهين

المكتبة الخاصة

ثلاثة ابناء

النشر الاول ١٩٩٧

النشر الاخير ٢٠١٨

ثـلاثـة أبناء

كان لرجل ثلاثة أبناء وهم إياد وزكي وعلي ، ولقد كان بهم بارا وقد أحسن تربيتهم وعلمهم السباحة وركوب الخيل بالقول المأثور عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وشجعهم ورغبهم على حب الإحسان والشفقة والعطف على الفقراء والأيتام ، ولما كبروا كانوا موضع فخر أبيهم ، وأحس أنه قدم الواجب المطلوب منه نحوهم من التربية والتعليم ، ولم يبق أمامه إلا أن يزوجهم ليستقل كل واحد منهم بحياته الجديدة ، وتبدأ القصة هذه عندما سمع الناس في المدينة منادي السلطان ينادي بأعلى صوته في الأحياء والحارات أن السلطان سيزوج ابنته الكبرى لمن يجلب لها فاكهة جنة عدن وإن كان الفاعل فقيرا معدما .

فسمع الأبناء الثلاثة ما سمعه الناس ، فسألوا والدهم عن جنة عدن فقال أبوهم : اعلموا يا أبنائي أنه شرف كبير لمن يصبح ختنا وصهرا للسلطان ؛ ولكن الأمر يحتاج لمخاطرة ، وكان يراودني خاطر أن أنكحكم أخوات ثلاث لتبقوا أحبة وأصدقاء طول حياتكم ؛ ولكنني أراكم تطمعون بالزواج من ابنة السلطان الأميرة "زهرة الرمان" ، وهذه الأميرة المسكينة ألم بها مرض منذ سنوات فأنهكها ، وضعف الحكماء عن مداواتها ، فأحضر لها والدها السلطان طبيبا هنديا ، فلما عجز هذا الحكيم البارع عن

إزالة سقمها ، وصف لها بأن تأكل من فواكه جنة عدن .. وجنة عدن بستان كبير وعظيم يقع في بلاد بعيدة ، وهو خاضع لساحر ماكر يدعى "بربروش بن حفارش" ، ويقوم على حراسة هذا البستان المسمى جنة عدن الوحوش المفترسة .

فران عليم صمت طويل ثم قال إياد : يا أبتاه! .. ألا ترى أن نحاول ونغامر في إنقاذ حياة ابنة السلطان ؟!

وقال زكي : ونصبح من أصهار السلطان يا أبانا العزيز ؟

وقال علي : ولكن من يذهب منا ويقوم بهذه المخاطرة ويقتحم عرين ذاك الساحر ؟

فهنا قال الأب : يا أبنائي عمل الخير جيد ؛ ولكن لا يكلف الله نفسا إلا وسعها.. وأخشى أن يدب بينكم الحسد والكره والبغض ويذهب ما صنعته لكم من حسن تربية وأخلاق عالية أدراج الرياح هباء منثورا .



فعندئذ قال إياد : يا أبانا عندي اقتراح قد يروق لكم فاسمعوه .

قالوا : علينا به ؟!

قال إياد : ألا يوجد للأميرة أخوات يا أبي ؟

رد الأب بروية فقال : فمولانا السلطان له أكثر من زوجة .. وهذه الأميرة من زوجته الأولى وقد ماتت عنها أمها في نفاسها ، ولما تزوج ثانية خلفت له ذكرين وأنثى ، ثم تزوج أخرى فوهبه المعطي من الأخيرة ولدا وابنتين ..وهذه الأميرة المريضة يحبها والدها حبا جما لأنه كان يحب أمها حبا جما .

فقال إياد : أحسنت يا والدي ! .. إذن نقابل السلطان ونقول له نحن الاخوة الثلاثة راغبون بالمسير إلى جنة عدن في أقاصي الدنيا ، ولدينا رغبة بالزواج من أخوات ثلاث ، ومن يتمكن منا من إحضار فاكهة تلك الجنة يكون من نصيبه الأميرة المريضة إذا شفيت بمشيئة الرحمن ، ويأخذ الأخوان من بنات السلطان الأخريات أو نذهب كلنا معا ونحضر الفاكهة كلنا وكل أميرة تختار واحدا منا .

قال الأب : رائع .. أفكار جميلة .. ما قولكم أنتم ؟!

قال زكي : كما قلت يا أبي أفكار رائعة ! .. ولكن نتركك كلنا وقد نفقد كلنا ؟

فقال علي : أنا موافق على أي اقتراح ترونه مناسبا .

فقال الأب : فهذه حياتكم .. وعلينا أن نصبر وننتظر أياما حتى نرى هل تقدم أحد من شباب المدينة لهذه المغامرة أم لا ؟ فإن لم يفعل أحد أذهب للوزير الكبير وأعرض عليه رغبتكم بالمغامرة بالمسير إلى جنة عدن .

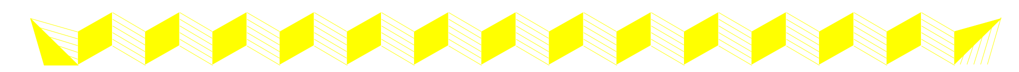
مرت شهور ثم عاد منادي السلطان ينادي في المدينة من جديد ، فقام والد الشباب عندما سمع النداء بالاجتماع بوزير السلطان ، وروى له رغبة أولاده الثلاثة بالمخاطرة ، فقال له الوزير ناصحا : الأفضل أن يذهب واحد منهم حتى إذا أصابه مكروه ظل عندك اثنان .

فقال الأب : هي رغبة الأبناء فاعرض الأمر على مولانا السلطان

نهض الوزير حيث ديوان السلطان ، وشرح له أمر الفتيان الثلاثة .

وبعد نظر قال السلطان لوزيره : امهلوني بضعة أيام حتى أسمع كلام الأميرات .

وافقت الأميرات على الزواج من الشباب الأخوة الثلاثة إذا احضروا سلة من فواكه جنة عدن ، ثم تختار الأميرة إذا شفيت من تشاء منهم ، ثم تختار الوسطى واحدا آخر ، ويبقى الأخير للصغرى ، نقل الوالد موافقة الأميرات لإبنائه على اقتراحهم ، فودع الشباب والديهم وأقربائهم ، وقد تزودوا بنصائح أبيهم ، وساروا يقطعون الفلوات



والمدن والأرياف والجبال والوديان ، أملا في الوصول لجنة عدن ذاك البستان البعيد بستان الساحر بربروش بن حفارش .



بستان جنة عدن

ولما وقفوا على قمة أحد الجبال الشاهقة في عنان السماء نظر أحدهم وقال : ذاك بستان جنة عدن .. على رأس ذلك الجبل .. ما علينا إلا ننزل هذا الجبل ثم نصعد الجبلين اللذين يفصلانا عنه ثم نرتقي إلى جبل الساحر واستراحوا قليلا من الساعات ثم هبطوا الجبل الذي يقفون عليه ، ولما صعدوا جبلا آخر اختفى بستان جنة عدن عن أعينهم ، فقال إياد : لقد اختفى القصر الكبير الذي لمحناه على قمة بستان جنة عدن .. لم نعد نراه رغم وجوده على قمة الجبل .

فقال زكي : هل شعر بنا الساحر اللعين فأخفى عنا قصره ليضللنا ؟!

فقال علي : أم أننا ضللنا الطريق واختلط علينا الأمر ؟

فعاد إياد يقول : قد يكون هذا الجبل أقصر من الجبل الذي كنا عليه .. فلنتابع السير ما زال أمامنا وقتا حتى نصله .

فهبطوا الجبل ثم صعدوا الجبل الذي يفصلهم عن جبل جنة عدن ، ولما صاروا على قمته لم يروا قصر وجنة عدن .

فقال علي : ما علينا أيها الاخوة إلا أن نهبط هذا الجبل ونصبح أمام جنة عدن وقصرها فنرى الجبل وما عليه .

قال زكي : يبدو أن هذا الدخان الكثيف هو الذي يحجب عنا رؤية

البستان والقصر .



وبعد أن استراح الشباب من نصبهم وأكلوا غداءهم قال إياد راسما خطة لهم : الآن سننفرد بالحركة سيبقى أحدنا على هذا الجبل ، والآخران يهبطان هذا الجبل ، ثم يصعد أحدهما إلى جبل الجنة وينتظر الآخر في بطن الوادي ، فإذا شعر الأول بالأمان ولم يتعرض لمكر يتبعه الثاني أي يصعد إليه ، وينزل المتأخر منا إلى بطن الوادي أي مكان الثاني ويتقدم الأول منا نحو البستان فإن انتصر الأول على الساحر تمت المغامرة ، وإن لم يوفق حاول الثاني وإن لم يوفق حاول الثالث إنقاذ الجميع ، واستعينوا بالله وحده واصبروا ، ونبدأ المعركة على السن الأكبر والأوسط يتقدمان ويتخلف هنا الصغير .

وبعد اعتراضات ومجادلات رضوا بخطة إياد وقالوا : على بركة الله .

نزل إياد الكبير وزكي الأوسط الجبل مع شروق الشمس وقبل أن يصبحوا في وسط الوادي اندفعت أمامهم مياه غزيرة ملئت الوادي ،

فقال زكي : الساحر أراد بذلك إغراقنا فسبقتنا المياه قبل أن نصبح في الوادي .

فصبرا حتى خفت المياه وقطعا السيل بالقفز من صخرة إلى صخرة ، وفجأة اشتعلت النار أمامهما ، فعادا أدراجهما خلف الماء المسيل ولما خمدت النار التي اشتعلت في الأشجار التي أمامهما قطعا السيل من جديد ، وصعد إياد فريدا الجبل فأخذت الصخور والحجارة تتدحرج جهته ، فرجع فتواريا في أحد الكهوف حتى سكت تدحرج الحجارة من عل .

فعندئذ اقترح زكي تعديل الخطة قائلا : يا صاحبي .. لماذا لا نصعد الجبل من ثلاث جهات ؟

قال إياد : لا ندري ماذا سيضع أمامنا اللعين من عراقيل فهو ما زال يراقبنا .. وإلا ماحرق الغابة والأشجار ودحرج علينا الحجارة .. سوف أتسلل في عتمة هذا الليل .

فعاد زكي يقول : أرى يا أخي الكبـير أن نشتت جهوده إذا حاولنا الصعود من جهات ثلاث .

قال إياد : لا ، الأفضل واحدا واحدا إذا سقط واحد قام الآخر مكانه .

قال زكي : أخشى أن يصيدنا واحدا تلو الآخر .

فقال إياد : وعملنا الثلاثة في آن واحد فيه مخاطرة أيضا .. ولكن يمكن أن نجري تعديلا بسيطا يدمج الخطتين معا .. يأتي علي إلى هنا ونصعد نحن الاثنان سوية .

وافق زكي على هذا التعديل ، وأشارا لعلي بالانحدار ، ولما انتهى إليهما حدثاه بما حدث لهما ، وفي ظلام الليل تحرك زكي من جهة وإياد من جهة أخرى ، ومع الفجر كانا على سفح الجبل ، فكان أمامهما قصر ضخم في وسط حدائق غناء بالأشجار الباسقة وأسوار عالية تحيط بالقصر من الصعب تسلقها ، ولما أشرقت الشمس فتح باب في أسوار القصر خرجت منه الوحوش التي تحرس الأبواب ، فقام الشابان بإلقاء قطع اللحم المسمومة لها من فوق شجرة يجلسان عليها ،وأسرعت الوحوش تأكل قطع اللحم ، وكان صوت هذه الوحوش ارتفع لعنان السماء من شدة غضبها لوجود هذين الإنسيين بينهما ، واستعملا النشاب والقوس في صرع الوحوش التي التفت حول الشجرة ، وبعضها يتقافز على الشجرة وبعضها ينطح الشجرة ، وتحاول بعض النمور بالتسلق ، فتصدم بسهم يطرحها أرضا وبعد حين من الوقت سقطت الوحوش بين ميت وجريح هارب ، وقد سيطر البطلان على ساحة الميدان ، وبينما هما يرتاحان من هذه المعركة الصباحية إذا بحية ضخمة تخرج من باب القصر

فصاح زكي : استعد يا ابن أمي وأبي .

فرماها إياد بسهم ؛ ولكنه بدأ لهم كأنه ارتطم بصخرة ، واستمرت تزحف نحوهم فرماها زكي بآخر ، فلم ينل منها بغيته ، وهجمت عليهما وقد فتحت فاها الضخم لتبلع إيادا ؛ فإذا بسهم يفقأ عينها فأغلقت فمها وهاجت ، فكان سهم آخر يفقأ عينها الثانية ، ثم قفز شخص من بين الأغصان فوقها وطعنها بخنجره ، فصرخت وهمدت جثة هامدة وصاح الأخوان معا : علي !!

وقطع رأسها وعلقه على شجرة وهتف قائلا : نأخذه معنا إن نجونا من ساحر جنة عدن .



فقال إياد : ماذا يفعل الساحر الآن ؟! وماذا يضع لنا من عراقيل ؟

فكر إياد بالدخول وحده فقال : لن ننتظر مفاجآته سأدخل وحدي وإذا لم أرجع بعد ساعة افعلوا ما ترونه مناسبا .

قال علي : العمل كفريق واحد أحسن .. نصبر ساعة .. وندخل جميعا .

قال إياد : يا أخي لا أريد أن نقع جميعا في فخ من افخاخه .

قال زكي : لماذا ندخل من الباب ؟! .. فلنتسلق شجرة عالية ومنها نهبط على السور ثم عن طريق شجرة أخرى ننزل أرض البستان .

وافقا على فكرة زكي وتسلقا شجرة ضخمة لها غصون ممتدة نحو سور البستان ، وساروا على الغصن رويدا رويدا حتى أصبح ثلاثتهم فوق الجدار فإذا هو جدار عال وأسفله قناة ماء بدأت كأنها محيطة بالقصر ، فعادوا مرة أخرى إلى الأرض وهم يقولون ليس لنا إلا الباب .

وفجأة قال علي : الماء الذي يجري في جوف القناة من أين يأتي .. أين نبعه ؟؟!

فأجابه إياد : قد يكون من عين داخلية .

فقال زكي : وقد تكون عين خارجية .. هيا نبحث عنها .

وداروا حول السور فوصلوا إلى جبل ينحدر منه الماء نحو القصر والبستان بواسطة نفق واسع من تحت الأرض ، قال إياد : ندخل مع الماء .. ثبتوا سيوفكم ومديكم جيدا .

ونزلوا الماء وسبحوا وبعد حين وجدوا أنفسهم داخل البستان فخرجوا من الماء وهم يحمدون الله على نجاحهم بالدخول لعرين السبع ، فامضوا ليلهم في البستان وهم يرتجفون من شدة البرد وحمدوا الله صباحا على

بقائهم أحياء ، فعرضوا أنفسهم للشمس حتى جفت ثيابهم وأبدانهم ، ومشوا نحو القصر الكبير ، وفجأة سمعوا صوت زئير مرعب ، فأمرهم إياد بالصعود إلى الأغصان ، فصعد كل واحد على شجرة ..وظهر أسد ضخم فقال إياد : دعوه لي .

وقفز عن الشجرة إلى الأرض وقد امتشق حسامه ، فلما رآه الأسد قفز عليه بغضب فتلقاه إياد بقلب قوي وسيف شديد ـ تعلم عليه جيدا ـ فشقه قسمين ، فنزل الأخوان وتابعوا السير نحو البيت العملاق ، فوصلوا أحد الأبواب فدفعه علي برجله وهو يصيح : أيها الساحر اخرج إن كنت قويا .. نحن لا نريد قتالك ولا معاداتك .. نحن نريد بعض الفواكه من جنتك هذه لإنقاذ فتاة مريضة .... هب لنا منا سلة فننصرف بسلام .. تكلم أيها الساحر ؟؟

فجاءهم صوت الساحر مهدرا : ادخلوا أيها الغرباء .. أنا لا يأكل أحد من ثمار جنتي من غير عناء وشقاء .. هذا قصر بناه ملك عظيم من ملوك الدنيا وجعلني وارثا له وحارسا وزودني بكل هؤلاء الجنود الذين تغلبتم عليهم .

تقدم الشباب بحذر وصعدوا درجا ؛ فإذا هم أمام رجل شيخ هرم ضخم الهيئة كثيف الشعر صغير العينين يرتدي ثيابا من جلود النمور

يضع على رأسه قبعة صغيرة دميم الخلقة ، فقال لهم : لولا شجاعتكم النادرة وذكائكم الحاد ما وصلتم إلى هنا سالمين لقد خدعتم الأسد الكبير بدخولكم مع مجرى الماء فماذا تريدون مني يا سادة ؟!

فقال إياد : ذكرنا لك ما نريد .. أيها الساحر !.. نريد فاكهة طيبة من هذه البساتين لننقذ حياة الأميرة زهرة الرمان .

ظهر قرد يحمل صينية ذهبية عليها فواكه شهية فقال الساحر : أيها القرد أكرم ضيوف سيدك بربروش .. هذه هدية مني لكم فكلوها . أكرم ضيوفنا يا سيمونا .. ثم خذوا ما شئتم من فواكه البستان .

تقدم القرد أمامهم داعيا لهم لتناول الفاكهة ، فأخذ علي تفاحة منها وقال : أيها القرد كل من هذه التفاحة لتطمئن قلوبنا قد تكون فاكهة مسمومة .

وقبض علي على عنق القرد ووضع التفاحة على فمه صائحا : كل .



أبعدها القرد عن فمه وصاح : دعوني .

ثم ألقى بالصينية الذهبية على الأرض ، وحاول الهرب وقد أراد دفع علي ، ولكن خنجر علي كان في صدره فخر صريعا وهو يقول : إنها

مسمومة !!

فقال إياد بقوة : أيها الساحر ألم تنفد حيلك ؟! .. ألا تريد الاستسلام وتسمح لنا بأخذ الفاكهه ؟!

قال الساحر : لابد أن أدافع عن ملكي بكل قوتي وطاقتي .

فأجابه إياد : نحن لا نريد سلبك ملكك نريد شيئا يسيرا من فواكه بستانك .

فتظاهر الساحر بالاستسلام وقال مرة أخرى : لقد انتصرتم عليّ .. خذوا ما شئتم .

قال إياد : اذهب يا علي وخذ من كل فاكهة حبة أو حبتين ونحن نبقى عنده .

هبط علي الدرج منفذا الأمر ، وبينما الجميع ينظرون إليه هجم زكي وإياد على حين غرة على الساحر ، فصعق الساحر للمفاجأة واستسلم لهما وهو يقول : هذا غدر منكما .

ضحك الشابان وقالا : أنت غدرت بنا أكثر من مرة ..

وجردوه من ثيابه وقبعته ولفوه بثوب معهم ، ولما عاد علي بالمطلوب حملوه ونزلوا الدرج وهما يقولان : أين الباب ؟

فأخذ بالصياح فقال زكي : افعل ما تؤمر خشية أن يصيبك منا ما نكره

.. امش .

فدلهما على الباب فخرجوا من القصر ومن البساتين وهو يقول : دعوني .

فقال إياد : سترافقنا إلى نصف الطريق حتى نضمن عدم غدرك ، واحذر الغدر فخناجرنا جاهزة للطعن ، فساروا حتى وصلوا حيث تركوا خيلهم واعتلوا صهواتها ، فقال أحدهم : من هنا ستعود أيها الساحر إلى أرضك وحدائقك ، واعلم أننا عفونا عن حياتك وأن حياتك من حقنا لأنك حاولت قتلنا بالماء والنار والوحوش والسموم .. وقد عرفتنا وعرفت بأسنا .

ففكوا قيده وتركوه يعود لبستانه حافيا شبه عار ، وقد تحطم سحره وجنوده ، وتابع الأخوة الثلاثة مسيرهم جهة بلادهم ، وفي الليل دخلوها وإلى أبيهم قدموا سلة الفواكه ، فحملها مع الفجر الجديد إلى قصر السلطان ، فتقبلها السلطان بترحاب كبير وشكر عظيم ، وقد تعجب من ضخامة رأس الأفعى ، وأقر بشجاعة الأبناء ، وقص عليه مغامرة الأبناء ،وأتى الطبيب فأخذ سلة الفاكهه ، وهو يقول : هذا رائع !.. فقد أحسن الأولاد .. وبارك الله لك فيهم .. فكم مضى على مدة غيابهم ؟

رد الأب : ما يقارب ستة شهور أيها الحكيم .

فقال الحكيم : وانتظرنا عدة شهور قبل أن يتقدم أحد لهذه المخاطرات أليس كذلك يا مولانا السلطان ؟!

رد السلطان محتارا بما يقصد الطبيب : أجل أيها الطبيب .. ماذا تريد أن تقول ؟

فقال الطبيب بفرح : ولي عدة شهور أعالج فيها الفتاة ، فلها سنة تحت المعالجة إذن .. فأرى أن ابنتكم الآن قد تعافت بإذن الله ، فقد كان علاجها يحتاج لهذا الوقت سنة كاملة ، فكان عليّ أن أشغلكم بهذه الحيلة فادعيت أن فاكهة جنة عدن شفاء لها ؛ لأنني كنت بحاجة لهذا الوقت ، فالعقاقير التي ركبتها تحتاج لهذا الزمن وحتى لا تشغلوننا بالاستفهام صباح مساء ، ويكثر قول الواشين في مهارتنا ، فطلبت منك هذه الفاكهة أيها السلطان .. وها أنا داويت فتاتك المحب لها وعرفتك على ثلاثة أبطال يندر أن تجد مثلهم أزواجا لبناتك الأميرات ، ونسأل الله العافية في الدنيا والآخرة .

تمت بحمد الله



غسان والمدينة

مكر نديم

أحلام الأولاد

أسعد وأسود

ثلاثة أبناء

ربيعة والسلطان

نبوءة سيف

عقيل والصياد

الصياد البحري هارون

